سلسلة تفريغات شبكة بينونة

يدا بيد مع قادتنا

الشيخ د. هشام بن خليل الحوسني

قام به فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@BaynootnanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغًا لمحاضرة

بعنوان

{ يداً بيد مع قادتنا }

للشيخ

د.هشام بن خليل الحوسني

-حفظه الله تعالى-

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعذو بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، ثم أما بعد.

فبدايةً نسأل الله سبحانه وتعالى أن يبارك في القائمين على هذه المحاضرات والندوات من مركز رياض الصالحين التابع لهيئة الأوقاف والأعمال الخيرية بدبي، ولا ننسى كذلك أن نشكر من كان سببًا بعد الله سبحانه وتعالى في هذا الخير العظيم من ولاة أمور المسلمين الذين سخّروا ما لديهم، وأعطوا كل ما يستطيعون في خدمة شعبهم وفي خدمة وطنهم، وعلى رأسهم سمو الشيخ صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد حفظه الله ووفقه وأعانه وسدد خطاه، والشكر موصولٌ لكل من ساهم في إنجاز وإتمام مثل هذه الندوات وهذه المحاضرات، ونسأل الله سبحانه وتعالى لهم التوفيق والسداد.

بدايةً معاشر الفضلاء نودّ أن نذكّر أنفسنا وإياكم بما جاء في أقوال صحابة نبينا صلى الله عليه وسلم وما أخبروا عن الحال التي كان عليها الناس قبل

الإسلام، إذ كما وصفهم حذيفة رضي الله عنه في الحديث الصحيح في قوله للنبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ"؛ أي بهذا الدين العظيم، وهو دين الإسلام الذي امتنّ الله عز وجل به على عباده فأكرمهم بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من خيرٍ عظيم عمّ القريب والبعيد.

فالعرب كانوا في تشرذمٍ وتفرقٍ وتشتت، يأكل القوي الضعيف، ويظلم القادر غير القادر، إلى أن جاء نبينا صلى الله عليه وسلم بهذا الخير وبهذا الدين العظيم الذي حُفظت به الأنفس وأُمنت به السبل وانتشر به الخير وانتشر العدل والإحسان في الناس.

قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَّ عز وجل نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»[1] وهذا كان قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم، «فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ» لأنهم لم يكونوا على الدين الصحيح وما كانوا على هذه الخيرات التي شملتهم بعد بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم، أنعم الله سبحانه وتعالى علينا بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وجاء مبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فقال لأصحابه وبيّن لهم قول

(١) أخرجه مسلم ٢٨٦٥

الله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[المائدة:٣] فما من خيرٍ إلا ودلّ أمته عليه، وما من شرٍ إلا وحذّرهم منه صلى الله عليه وسلم.

وكان مما أخبر به صلى الله عليه وسلم ما هو مقررٌ ومسطرٌ في كتب أهل العلم، وما انعقدت عليه إجماعات سلف هذه الأمة من مسائل السمع والطاعة لمن ولّاه الله عز وجل أمر المسلمين، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾[النساء:٥٩] يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية الكريمة: (أي هذا الذي أمرتكم به من طاعتي وطاعة رسولي وأولي الأمر، ورد ما تنازعتم فيه إليّ وإلى رسولي خيرٌ لكم في معاشكم ومعادكم وسعادتكم في الدارين، فهو خيرٌ لكم وأحسن عاقبة).

هكذا يخبرنا ربنا سبحانه وتعالى أن في هذا الأمر فيه الخير والسعادة والطمأنينة لك أيها المسلم إن أطعتَ الله وأطعتَ رسوله وأطعتَ أولي الأمر منكم وهم الأمراء الذين ولّاهم الله عز وجل منك ليحفظوا لك شؤونك، ويؤمّنوا لك هذه السُبُل، ويأتيك منهم من الخير ما يقدّره الله سبحانه وتعالى،

فقد جاء في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: «بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة لمنشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرةٍ علينا» أي وإن حصل استئثارٌ بالمال علينا إلا أنه قد حصلت البيعة، بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الأمور: في المنشط والمكره، وفي العسر واليسر، وأثرةٍ علينا، وألا ننازع الأمر أهله، هكذا يوضح صحابة النبي صلى الله عليه وسلم هذه المسائل التي تتعلق بها أمور عظيمة، وهي إنما تكون في صالح المسلم إن أطاع الله وأطاع رسوله وأولي الأمر منه.

قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَطَاعَ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَا الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي»[١] هكذا يبيّن لنا نبينا صلى الله عليه وسلم منزلة طاعة الأمراء، وأنها من طاعة نبيك صلى الله عليه وسلم، وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «سَتَكُونُ عَلَيْكُمْ أَئِمَّةٌ تَعْرِفُونَ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُونَ» قالوا: وما تأمرنا يا رسول الله؟ أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال: «لا، أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُوا اللهَ حَقَّكُمْ»[٢] فهذا في حق من كانوا ولاةً وأمراء وعُرفوا بالظلم والجور، فما بالك بأمراء وولاة عُرفوا بالفضل والخير والإحسان والتواضع كما نحن اليوم فيه ولله الحمد

---

(١) أخرجه ابن خزيمة ١٥٩٧

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٦/١٥٠)

والمنة.

وقال صلى الله عليه وسلم: «أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»[١] أي أن هذه الكراهية لهذه المعصية لا تسوّغ للمسلم أن ينزع يدًا من طاعة، «فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» أي مات كما كان يموت أولئك الذي كانوا في الجاهلية، لا بيعة في أعناقهم، ولا سمع ولا طاعة عندهم.

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ إِلاَّ أَنْ يَرْجِعَ»[٢]، وجاء عن عمر رضي الله عنه أنه قال: "لا إسلام إلا بجماعة" تريد الخير، وتريد انتشار الأمن، والسلام وحفظ الأنفس والأعراض والأرواح: عليك بالجماعة، وكيف تتحقق الجماعة؟ قال عمر رضي الله عنه: "لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بسمعٍ وطاعة".

فالمسلم عليه أن يسمع ويطيع لمن ولّاه الله عز وجل أمره، قال علي رضي الله عنه قال: "لا يصلح الناس إلا أمير برّ أو فاجر، قالوا: يا أمير المؤمنين، هذا

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٥٥

(٢) أخرجه الترمذي ٢٨٦٣

البرّ فكيف الفاجر؟ قال: إن الفاجر يُؤمّن به السُبل، ويُجاهد به العدو، ويُجبى به الفيء، وتُقام به الحدود، ويُحج به البيت، ويعبد الله فيه المسلم آمنًا حتى يأتيه أجله"

فالناس لا يصلحون هكذا فوضى لا سُراة لهم، بل لا بد أن تنتظم حياتهم وشئونهم، لا يكون ذلك إلا بالسمع والطاعة.

قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه في تفسيره لقول الله عز وجل: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران:١٠٣] قال: "يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به، وما تكرهون في الجماعة خيرٌ مما تحبون في الفرقة" أي أن ما يحصل في جماعة المسلمين قد يحصل لك شيءٌ من الضيق، لكنه خيرٌ بآلاف المرات مما يحصل في حال الفرقة والاختلاف وتنازع الناس.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى في بيان فضل الولاة والأمراء: "هم يَلون من أمرنا خمسًا: الجمعة، والجماعة، والعيد، والثغور، والحدود، والله لا يستقيم الدين إلا بهم وإن جاروا وإن ظلموا، والله إنما لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون" هذا في حال ولاة الأمر إن كانوا على ظلمٍ وعلى بُعدٍ عن العدل، فكيف الحال إذا كان الوالي عادلًا فاضلًا.

يقول ابن المبارك رحمه الله تعالى:

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا ** منه بعروته الوثقى لمن دانا

كم يدفع الله بالسلطان معضلة ** في ديننا رحمة منه ودنيانا

لولا الخلافة لم تأمن لنا سبل ** وكان أضعفنا نهبا لأقوانا

هكذا قرر نبينا صلى الله عليه وسلم مسألة السمع والطاعة والبيعة لولاة الأمر ولو حصل معها شيءٌ من الظلم والجور، فما بالك بالوالي إن كان عادلًا متواضعًا، صاحب خيراتٍ وفضائل وجمائل كما هو حالنا في هذه الدولة ولله الحمد والمنة، ننعم بفضلٍ وخيرٍ نُحسد عليه، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يزيدنا من هذه الخيرات ومن هذه الفضائل وأن يبارك لنا في قادتنا وولاتنا ويزيدهم خيرًا وفضلًا.

هذه المسائل قد قررها النبي صلى الله عليه وسلم وبيّنها، وحثّ عليها صحابته رضوان الله عليهم، وبيّن لهم هذا الأمر أيما بيان، لذلك تقرر في نفوسهم حفظ هيبة السلطان، وحفظ هيبة الولاة والأمراء تطبيقًا منهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «السُّلْطَانُ ظِلُّ اللهِ فِي الأَرْضِ فَمَنْ أَكْرَمَهُ أَكْرَمَ اللهَ

وَمَنْ أَهَانَهُ أَهَانَهُ الله»[١] وأنتم معاشر الفضلاء تأملوا في حال الناس شرقًا وغربًا، وتأملوا في الأحزاب والجماعات التي تنتسب زورًا وبهتانًا إلى هذا الدين، انظروا إلى مكرهم وكيدهم بولاة أمرهم، وكيف أن الله سبحانه وتعالى أذلّهم مصداقًا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَكْرَمَهُ أَكْرَمَ اللهَّ وَمَنْ أَهَانَهُ أَهَانَهُ الله» وهذا كله بسبب ذنوب هؤلاء الذين أسرفوا على أنفسهم وابتعدوا عن شرع الله عز وجل وفارقوا جماعة المسلمين، وكما قال ابن المبارك رحمه الله تعالى: "من استخفّ بالأمراء ذهبت دنياه".

ومن باب حفظ هيبة ولاة الأمر التي هي أمرٌ واجبٌ عليك أيها المسلم، وليس أمرًا اختياريًا، بل يجب عليك وجوبًا حفظ هيبة السلطان؛ لأن حفظ هذه الهيبة فيه صلاحٌ للراعي وصلاحٌ للرعية كذلك، فيه خيرٌ للراعي وخيرٌ لرعيته وشعبه كذلك، فبهذه الهيبة وبهذه المكانة العالية التي اختصه الله سبحانه وتعالى بها تُؤمن السبل وتستقر الدول ويطمأن الناس ويستطيع العابد أن يتعبد لله في بيوت الله آمنًا مطمئنًا على نفسه وعلى أهله وعلى أطفاله، لا يخاف من شيءٍ كما يحصل إذا انعدم الأمن واختل ذلك كما هو حاصلٌ في بعض البلدان.

لذلك كله كان لزامًا على المسلم أن يتعاون مع ولاة أمره، وأن يبذل كل ما

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ١٠٢٤

يستطيع لتحقيق الاستقرار والأمن والطمأنينة في هذا البلد، قال الله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[المائدة:٢] فالتعاون عندما يتحقق من الذي يحمل هذه النفس الطيبة التي فيها من إحسان الظن بولاة الأمر، وفيها من إرادة الخير والتناصح والتشاور لكل ما فيه خيرٌ وسعادةٌ لهذا البلد ولمن هم في هذا البلد.

لذلك كان لا بد أن نستعرض بعض مظاهر هذا التعاون الذي لا بد أن يكون من هذا المسلم الصالح الذي يريد الخير لنفسه ولبلده وللناس عامة، مِنْ هذه المظاهر التي ينبغي أن نقف عندها، ونحثّ أنفسنا ونحثّ الناس عليها:

الأول: هو الدعاء لولاة الأمر بالخير، والصلاح، والهداية، والرشاد، والتوفيق، والسداد، هكذا كما قرره أئمة السنة، يقول الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: "لو أن لي دعوة مستجابة لما جعلتها إلا للسلطان" فقيل له: يا أبا علي، فسّر لنا هذا، -يعني لماذا تخص السلطان بدعوةٍ وأنت تعلم أو تظن في غالب ظنك أنها دعوةٌ مستجابة، فسّر لنا هذا- قال: "إذا جعلتها في نفسي لم تتعدني" إذا جعلت هذه الدعوة لي خاصة كانت خاصةً بي، "وإذا جعلتها في السلطان صَلُحَ، فصَلُحَ بصلاحه العباد والبلاد".

لذلك كان هذا شأنهم، شأن سلف هذه الأمة، كانوا يدعون الله سبحانه

وتعالى بقلوبٍ طاهرة طيبة مُحسنة الظن بولاة أمرها، يدعون لهم بالتوفيق والسداد، وبهذا عُرف أهل السنة، وبهذا مُيّز بين أهل السنة وبين أهل البدعة، يقول البربهاري رحمه الله تعالى: "فأُمِرْنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن جاروا، لأنَّ جورهم وظلمهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين".

أنت حينما ترفع يديك داعيًا ربك سبحانه وتعالى: اللهم أصلح ولاة أمورنا، اللهم احفظهم، اللهم ارزقهم البطانة الصالحة، تدعو لهم بالصلاح فيعم هذا الصلاح أنفسهم ويعم كذلك سائر المسلمين، فبصلاحهم تصلح البلاد والعباد.

قال البربهاري رحمه الله تعالى أيضًا موضحًا الفرق بين السني والبدعي، قال: "إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى" -زائغ، مائل عن دين الله عز وجل- "وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنةٍ إن شاء الله" هكذا يُميّز بين صاحب السنة الذي قد طهّر قلبه ونظّفه من الغل والحقد وسوء الظن والبعد عن الدعاء على الولاة، هكذا يميز المسلم بين صاحب السنة وصاحب البدعة الذي جعل شغله الشاغل الدعاء على ولاة أمر المؤمنين، ولوّث لسانه بهذه المنكرات.

المظهر الثاني: من المظاهر التي فيها التعاون على البر والتقوى، وأن يكون المسلم يدًا بيدٍ مع قادته وولاة أمره؛ أن يحفظ لسانه عن أسباب الشر والفساد، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»[١] تريد أن تكون مسلمًا: فليسلم الناس من لسانك ويدك.

كثيرٌ من الناس يدّعي أنه مطبقٌ لهذا الدين، وأنه سائرٌ على نهج النبي صلى الله عليه وسلم، لكن لسانه يلوك في أعراض ولاة أمور المسلمين، وينشر كل ما يكون فيه قدحٌ فيهم أو إسقاطٌ لهيبتهم، فهل هذا حقق ما طُلب منه شرعًا وما أمره به النبي صلى الله عليه وسلم، أم أنه يدّعي مجرد ادعاء؟ والله لو تَفكّر المسلم ووقف مع نفسه، وحاسب نفسه، وتأمل في وقوفه أمام الله عز وجل، وهو أنك مأمورٌ بالدعاء لولاة أمرك، لكنك جعلتَ ذلك دعاءً عليهم، وسببًا لهم، ونشرًا للفساد، فهل أنت ممن طبّقت دين الله عز وجل، أو أنك خالفت شرع الله عز وجل لمجرد هواك وما تميل إليه نفسك؟ فليحاسب المسلم نفسه وليتأمل في هذا وليعدّ للسؤال جوابًا، وقد ثبت وصحّ عن سلف هذه الأمة أنهم كانوا يقولون: "إن أول نفاق المرء طعنه على إمامه".

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٦٢٧

هذه المسائل هي مستقرةٌ ولله الحمد في نفوس كثيرٍ ممن تمسك بالسنة، لكن المسلم قد يغفل أحيانًا، وتأخذه شيئًا من أمواج أهل الباطل لا كثّرهم الله، نرى في أيامنا هذه ونسمع ونقرأ ما يكون في وسائل التواصل، سواءً كان من نقدٍ لولاة الأمر أو نقدٍ لمن ولّاهم ولاة الأمر علينا من وزراء أو مسؤولين أو نحو ذلك ممن يقومون مقام ولي الأمر في هذه الوزارة أو في هذه الجهة أو في هذه الناحية، فهل يصلح منك أيها المسلم أو أيها المتمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم مشاركة هؤلاء الذين لم يأبهوا بالسنة ولم يلتفتوا إليها، هل يصلح منك وأنت تخاف الله سبحانه وتعالى، هل يصلح من المسلم أن يجاري هؤلاء ويشاركهم ويغفل عن مثل هذا؟ لو تفكّر المسلم في هذا لوجد أنه على خطأ، فلا يجوز له أن يجاري هؤلاء.

وأنتم تعلمون أن كل ذي نعمةٍ محسود، وأن هذه الدولة المباركة لها من الأعداء من يكيدوا لها، ومن يدس السم لها، قد لا يواجهوا أو يتكلموا بكل صراحة لكنه عن طريق هذه الأمور التي قد تخفى حتى على بعض من لم يلقِ بالًا لها، وهذه الطرق والمكائد قد عُرفت من قديم، سواءً كانت من الأحزاب الإسلامية الضالة التي ما تمسكت بدين الإسلام، أو من الأحزاب الفكرية السياسية.

وقد عُرف عنهم كما حصل في بعض الدول والبلدان أنهم يأتون ببعضٍ ممن هم على نهجهم وفكرهم ويوصلونه إلى جهاتٍ قد تكون في مكانٍ له منزلته، ويبدؤوا بالإتيان بأشياء ينقم الناس فيها على البلد المسلم، وهذا قد حصل في بعض البلدان، فيترتب على ذلك أن الناس تُنكر هذا الأمر، وتنسب هذا الخطأ إلى من ولّاهم في هذا الموضع، وهذا للأسف قد وقع في بعض البلدان، وانخدع بعض المسلمين بمثل هذه الألاعيب.

لذلك يجب على المسلم ألا يجاري هؤلاء، الذين قد امتلأت قلوبهم حقدًا وبغضًا لهذه الدولة الطيبة المباركة، فما يجده الواحد منّا في وسائل التواصل أو في كلام الناس من انتقادٍ لوزيرٍ أو لرئيسٍ أو نحو ذلك، الواجب عليه أن يذكّر نفسه ويذكر إخوانه وأبناءه بأن هذا ليس من وسائل الإصلاح ووسائل الخير أبدًا، بل هو من الأمور التي تجلب الشر والفساد والفتن للبلد.

فلذلك على المسلم أن يكون حريصًا حَذِرًا في مثل هذه الأمور، ولا يشارك لكل من سوّلت له نفسه في هذه المنكرات، وبثّها في الناس، بل يجب أن يكون متأنيًا، صابرًا، محتسبًا، ينظر إلى الشر فيدفنه، وينظر إلى الفضائل والخيرات فيذيعها ويعلنها، وإن حصل أن له شيئًا من النصيحة أو من الكلام فبالطرق الشرعية وبالوسائل المرعية التي ولله الحمد ما بخل بها ولاة أمرنا، بل

عيّنوا أناسًا وعيّنوا جهات للبحث في هذه المسائل التي قد تُشكل على بعض الناس، لكن الواجب على المسلم أن يُحسن الظن، وأن ينظر إلى هذه الأمور بالمنظار الشرعي الذي أباحه الله سبحانه وتعالى له، ويأتي البيوت من أبوابها.

المظهر الثالث: هو حث الناس ودعوتهم إلى لزوم جماعة المسلمين، والحذر أشد الحذر من مخالفة جماعة المسلمين، يقول صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ» يعني لا يحمل الحقد ولا يحمل الغل إذا فعلها المسلم، ما هي هذه الثلاثة؟ قال: «إِخْلَاصُ الْعَمَلِ للهِ» إذا أخلص المسلم عمله لله يزول الحقد والغل والأمراض من قلبه، «إِخْلَاصُ الْعَمَلِ للهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِوُلَاةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ، تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»[1] أي من سلك هذه المسالك وأتى بهذه الأمور أزال البغضاء والغل من قلبه، ومنها: ومناصحة من ولّاه الله أمركم، ولزوم جماعتهم والبعد عن الفرقة والاختلاف ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[الأنفال:٤٦] بيّن الله سبحانه وتعالى أن الفرقة سبيلٌ للفشل، ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الله سبحانه

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٣٠٥٦

وتعالى بيّن هذه السبل وهذه الطرق الصحيحة في كتابه لمن يذكّر ولمن يتدبر ولمن يتأمل ولمن يريد وجه الله عز وجل، لا يريد علو هذه النفس وانتصارها، بل يريد تطبيق شرع الله عز وجل، تريد شرع الله؟ اسمع كلام نبيك صلى الله عليه وسلم وطبّقه في نفسك، وانكسر لهذه الأوامر الشرعية التي قد جاءتك ممن لا ينطق عن الهوى إنْ هو إلا وحيٌ يوحى.

قال صلى الله عليه وسلم: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[1] فينصح المسلم لأئمة المسلمين ولعامة المسلمين بالأسلوب الهيّن الليّن إن وُفّق لذلك، وإلا فأنكرْ بقلبك وأوكل الأمر إلى من يستطيع النصيحة ويستطيع الوصول، ولله الحمد لا يرده الولاة العدول الذين يريدون حفظ بلدانهم واستقرارها ونشر الأمن فيها واستتبابها.

فإذًا مثل هذه الأمور لا بد فيها من مراعاة شرع الله عز وجل وعدم الجري خلف ما تهواه نفسه، فما من حاكمٍ ولا مسؤولٍ ولا رئيسٍ ولا وزير إلا وقد يخطأ، فهو ليس بمعصوم، والعصمة إنما تكون لأنبياء الله ورسله، وكل بني آدم خطّاء، فإن حصل شيءٌ من النقص أو شيءٌ من الخلل فلا يكون العلاج أبدًا

---

(١) أخرجه مسلم ٥٥

بالنشر والإعلان والنصيحة العلنية، أبدًا لن تؤتي هذه ثمارها، بل يكون ذلك بالوسائل الطيبة التي قد بيّنتها لك هذه البلاد ووضّحتها، وأرشدت الناس لسلوكها بالطرق الشرعية والوسائل المرعية.

فإذًا هذا مظهرٌ كذلك من مظاهر حفظ هيبة السلطان والتعاون معه على البر والتقوى، وكما قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا: يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ»[١]، وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا»[٢] فالله سبحانه وتعالى وضّح لنا هذه المسائل التي فيها سعادتنا وفيها هدانا، وفيها الخير لنا.

المظهر الرابع: ما يكون من البعد عن أسباب الشر وأسباب الفساد، ونشر الفضائل، وعدم دفنها، والبعد عن كل ما يكون فيه إساءة وشرٌ للبلد، وهذا كذلك كما نبّهنا عنه فيما سبق.

المظهر الخامس: موافقة ما يسنّه ولاة الأمر من أنظمةٍ تُحفظ بها الأرواح،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٣/٤٠٠)

(٢) أخرجه مسلم ١٧١٥

وتُحفظ بها الأموال والأنفس والأعراض، يَسنّ ولاة الأمر أنظمةً تخص مثلًا مرور الناس وما يتعلق مثلًا بالمخالفات ونحو ذلك، فقد يحصل عند البعض شيءٌ من الضيق، ولو تفكّر في هذا وتأمل لوجد أن هذا الأمر وهذه الأنظمة إنما جُعلت لك أنت، في صالحك، تفكّر في هذا جيدًا، وانظر على سبيل المثال ما يكون مثلًا في أمر المخالفات المرورية على سبيل المثال، وما حصل معها من انضباط عددٍ كبيرٍ من الناس في سياقتهم للسيارات، وقلةٍ في إراقة الدماء والحوادث التي تترتب على المخالفة وضياع الممتلكات، ففيما يسنّه ولاة الأمر من هذه الأنظمة التي بحمد الله لا تخالف شرع الله بل هي فيها من الخير والفضل الذي يعود على هذا المسلم وكذلك على غيره.

كذلك من الأمور التي ينبغي للمسلم مراعاتها: ما قد يُسنّ من أمورٍ فيها توفير خدماتٍ لك أيها المسلم، ويعود نفعها عليك وعلى بلادك، فينبغي على المسلم أن يتقبل مثل هذه الأمور، وكما قلنا: أن يسبق ذلك حسن الظن، إن أحسن المسلم ظنّه بولاة أمره؛ أقبل على هذه المسائل بنفسٍ راضية ونفسٍ مطمئنة وبعيدة كل البعد عما يكون فيها القلق والتوتر ونشر ما يكون في وسائل التواصل ونحو ذلك، بل يرضى عن هذا الأمر ويعلم أن هؤلاء الولاة الذين ولّاهم الله عز وجل علينا هم حريصون أشد الحرص على ما فيه الخير لبلادهم

ولشعبهم، وبهذه النفس الطيبة يتقبل المسلم مثل هذه الأنظمة ومثل هذه القرارات التي ليس فيها ولله الحمد مخالفة لدين الله عز وجل.

المظهر السادس: من هذه المظاهر كذلك التي يجب على المسلم أن يتعاون فيها مع ولاة أمره: ما يكون من قراراتٍ وأمورٍ خارجية تتخذها هذه البلاد ضد ما يكون فيه إرهاب أو مقاطعة دول تدعم الإرهاب، وتدعم المفسدين، وتنشر الفساد في الناس، فتُقرّر هذه البلاد ويُقرّر ولاتها مقاطعتهم وعدم التواصل معهم، فيجب على المسلم في مثل هذه القرارت أن يكون موافقًا لما يكون في قرار ولاة أمره؛ لأنه يعلم أنهم بهذه القرارات وبهذه القوانين يحمون بلادهم ويحمون شعبهم من شرٍ قد لا يدري المسلم ما الذي يحدق به وما الذي يكيده به أعداء الدين وأعداء هذه البلاد، فإذًا في مثل هذه المسائل يجب على المسلم أن يكون موافقًا لبلاده في مثل هذه الأمور التي يقننونها ويقررونها.

كذلك فيما يتعلق بأمر المساعدات التي تكون للناس والمحتاجين في الخارج، فهذه قد تكون مما تدعو النفس لبذلها، وتدعو المروءة لبذلها، فلا يقفون ولله الحمد مكتوفي الأيدي، بل يمدون أيديهم ويمدون يد العون لكل محتاجٍ في شرق الأرض أو في غربها، والأمثلة كثيرة ولله الحمد ولا يسع المقام لذكرها.

أضف إلى ذلك ما ذكره وقرره أهل العلم أيضًا من أن ولي الأمر لو حصل

وأنه أعطى جهاتٍ كافرةٍ حاقدة تعادي المسلمين، هل يجوز له ذلك؟ نعم، ولا إشكال في هذا الأمر، لماذا؟ لأن في هذه العطايا وفي هذا الأمر قد يكون فيه تخفيفٌ على المسلمين، وإبعادٌ وتخفيفٌ لعداوة العدو الذي يتربص بك، ففي هذا الأمر تخفيفٌ لشره وإبعادٌ لهذه الشرور عن هذا البلد.

فلذلك هذه الأمور التي قررها أهل العلم فيما ذكروه في السياسة الشرعية وفي تصرفات الولاة وما يجوز لهم فيها، هذه أمورٌ مقررة ولله الحمد في السنة، لكن أهل الشر وأهل التحزّبات وأهل الأفكار السياسية الضالة يأتون إلى هذه المسائل ويجعلونها محل نقمة ونقدٍ على ولاة الأمر، كيف أنه رفع السعر الفلاني وأنه في نفس الوقت يغدق بالتبرعات ونحو ذلك على بلدان خارجية، يُقال له: وما أدراك أيها المسكين ما الذي يحدق بك من عداوةٍ وبغضاء يُكنّها أعداء هذا الدين وأعداء هذه البلاد يدفع الله عز وجل بمثل هذه العطايا وبمثل هذه الأموال، يدفع الله عز وجل بها من الشرور ما لا تعلمه أنت ولا غيرك، فلذلك لا بد من إحسان الظن بولاة الأمر، وأنهم ما يفعلون هذا الأمر إلا من باب الحرص على استتباب الأمن في بلادهم ودفع الشرور عنهم.

المظهر السابع: فمن هذه المظاهر كذلك: تربية الناشئة والصغار والأطفال، وغرس عقيدة أهل السنة فيهم من تبجيل ولاة الأمر، وبيان أن هذا الأمر أمر

دين وليس نفاق ولا مجاملة، بل إن استتباب هذا الأمر وغرسه في نفوس الناشئة والطفل منذ نعومة أظفاره ينشأ هذا الطفل وهو محبٌ لبلده، محبٌ لوطنه، ساعٍ في جلب كل ما يكون فيه نفع لهذا البلد وما فيه مصلحة لهذه الدولة.

اجلس مع أبنائك، اجلس مع بناتك، قل له: يا بني، تسمع اسم زايد واسم راشد وأبناءهما، وتسمع أسماء حكام هذه الدولة المباركة، فادعوا لهم يا ابنائي، ادعوا لهم بالخير والهداية والرشاد، فإنهم بعد فضل الله وجوده وتوفيقه وإحسانه بنوا لك أنت يا بني، وبنوا لكِ أنتِ يا ابنتي، بعد فضل الله بنوا لكم هذه الدولة التي تنعموا اليوم بخيراتها، وتتفيؤوا بظلالها، أنت يا بني بعد فضل الله عز وجل عليك ثم بجهود هؤلاء المخلصين نحسبهم كذلك والله حسيبهم، بجهود هؤلاء الذين أخلصوا لبلادهم وقادوا هذه الدولة المباركة، أنت اليوم تدرس في هذه المدارس التي فيها نفعك في دينك وفي دنياك، وأنتِ يا ابنتي حينما تذهبين إلى هذه المستشفيات وتتلقين فيها أفضل أنواع العلاج والخدمات التي تنعمين بها، هذا ما جاءك من فراغ، وإنما جاءك بعد فضل الله وتوفيقه من هؤلاء الولاة الذين أنعم الله عز وجل بهم علينا.

وهكذا المعلم في مدرسته يغرس هذا الأمر في هؤلاء النشأ الصغار، يربيهم ويعلمهم هذه العقيدة الطيبة التي فيها صفاء هذا النفس، وفيها طهارة هذا

القلب، والبعد عن كل ما يحمله القلب من الضغينة والكراهية ونحو ذلك، لأن هذه الأمور قد انطلت على كثيرٍ من الناس.

وللأسف أن الأحزاب الإسلامية المنحرفة ومن سار على نهجها بمخالفة شرع الله، غرسوا في فترةٍ من الأزمان، غرسوا شيئًا من الحواجز، ووضعوا حاجزًا عند بعض الناس للأسف الذين سلّموا عقولهم لهم، فانخدعوا بمثل هذا، وصاروا إنما يظن الواحد منهم ظنًا أنه بمجرد أن يسمع قرارًا أو يسمع شيئًا، فيظن أن هذا الأمر ليس فيه نفع وخير للمسلمين، لكن من تمسك بشرع الله عز وجل، وتمسك بكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وعلم هذه العقيدة الصافية التي أخذها الناس من سلف هذه الأمة لا يكون في قلبه أدنى غل أو حقد أو كراهية أو بغضاء لمن ولّاه الله أمر المسلمين.

لذلك فالذي يجب علينا ويجب كذلك على المؤسسات الدينية والإعلامية والاجتماعية هو واجبٌ عليهم أن يبيّنوا هذا الأمر للناس، وأن يدعوا الناس لحفظ مكانة ولاة الأمر، وإظهار هيبتهم، وإعلاء قدر ولاة الأمر، وبيان هذه الأمور الطيبة الفاضلة، ونشر الفضائل والمحاسن في الناس، وإبعادهم عن كل ما فيه شرٌ للمسلمين وشرٌ للبلاد والعباد.

وفي ختام هذه الكلمة نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم لما فيه كل

خير، ولما فيه كل صلاحٍ وهدى وتقى، وأن يجعل حكامنا وولاة أمورنا ممن قال فيهم نبينا صلى الله عليه وسلم: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ»[1] نسأل الله سبحانه وتعالى أن يبارك فيهم، وفي جهودهم، وأن يوفقهم لكل خيرٍ وصلاح بهذه الدعوات، وبهذه العقيدة الطيبة التي يحملها المسلم في قلبه يكون بفضل الله وبمنته يدًا بيدٍ مع قادته وولاة أمره، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يبارك فيكم وأن يمنّ علينا وعليكم باتباع السنة، والسير على ما سار عليه سلف هذه الأمة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

****

(١) أخرجه مسلم ٦٥

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية